الثاني لإسماعيل (تكوين ١٣: ٢٥) وهو جدُّ محمد ﷺ وأعظم معبد لأمته في هذه البلاد حيث المستطيعون يقصدونه من مشارق الأرض ومغاربها وترفع البرية ومدنها وصوتها الديار التي يسكنها قيدار، ترنّما بتسبيح الله من على رؤوس الجبال (١١ - ١٢).

وقد تعني «مختاريّ» في[١] المصطفى حيث حرِّف بالمعنى وكما يؤيده الآية (١٠) كما ترجمها القسيس أو سكان الأرمني[٢]: «يسبحون الرب تسبيحاً جديداً وأثر سلطانه يكون بعده واسمه «أحمد».

هذه نماذج من البشائر بحق هذا الرسول النبي الأمي، ولكن ترى ماذا كانت المواجهة اليهودية والنصرانية لهذا الرسول ولرسالته؟ لقد كانوا أنحس وأتعس من المشركين وسائر الملحدين لحدّ يندّد الله بفعلتهم قائلاً: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾[٣].

ذلك وعلى طول الخط نرى دوائر السوء في كافة الحلقات مستخدمة من الصهيونية والصليبية ضدّ الكيان الإسلامي، حيث تعالج - بزعمها - إزالة هذا الدين من الوجود.

فهل يبقى هنا مجال التعاون بيننا وبين اليهود والنصارى في وجه التيار المادي وسائر الإلحاد وهؤلاء وهم أهل كتاب أخطر وأضر على الكيان الإسلامي من كافة الكفرة والملحدين!.

ذلك، هو ﴿ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾.

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) هذه الترجمة كتبها هذا القسيس على كتاب أشعياء في ٧٣٣» ١ وقد طبعت في مطبعة (أنتوني بورتولي).
(٣) سورة البقرة، الآية: ٤١.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أركان أربعة للإفلاح ابتداءً من الإيمان به كما يصح، ثم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ توقيراً ثقيلاً قدر ما وقره الله، فليس الإيمان به كسائر الإيمان بسائر الرسل، إنما هو الإيمان بمن يحمل الرسالات كلها، فليوقر كما توقر الرسل كلهم وزيادة هي رمز الخلود.

ثم وليس الإيمان والتوقير - فقط - في زوايا القلب، بل وهناك ترسيم للإيمان الموقّر في صحيفة العمل، فيه نفسه: ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ في حمل هذه الرسالة تطبيقاً إياها ودعاية لها، وفي كتابه ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ وهو رأس الزاوية من نصرته.

فقد تلخصت هذه الزوايا الأربع في الرابعة ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ وإذا فـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ في معارك الحياة وملتوياتها ومنحنياتها.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾:

هنا في هذه الإذاعة القرآنية مجاهرة صارخة بأممية هذه الرسالة السامية حيث تحلّق على الناس كلّ الناس، فكما الله هو ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كذلك هذه الرسالة الأخيرة تدير أمر الشرعة العالمية في السماوات والأرض، دون إبقاء لمكلف في الكون إلّا وهي تشمله.

﴿فَـَٔامِنُواْ﴾ أيها الناس هوداً ونصارى وسائر الكتابيين وغيرهم من المكلفين ملحدين ومشركين ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ كما وهو ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ - ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ . . .﴾ ﴿وَرَسُولِهِ﴾ الذي ملّك الدعوة الربانية لمن في السماوات والأرض، وكما الله يُحيي الأموات ويُميت الأحياء، كذلك يسلب الرسالة عن قوم ويُرسلها إلى آخرين، وذلك رغم المزعمة الإسرائيلية أن رسالة الله خاصة بهم.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ﴾ المبشّر به في كتاباتكم ﴿ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ فآمنوا أنتم بالله وكلماته، ومنها هذا الرسول نفسه بكلماته.

ولأن السورة مكية وهذه الآية دعوة للناس كافة، وقد كان الرسول ﷺ في العهد المكي يعيش تحت كافة الضغوط المشركة ما يؤيس صاحب الدعوة عن تأثيرها حتى في بلده فضلاً عن العالمين، من هنا نعرف أن هذه الرسالة بدأت عالمية، رغم الزعم الفاسد الكاسد أن محمداً ﷺ لم يكن يخلد بخلده أن يمد بصره بهذه الرسالة إلى غير مكة، وإنما بدأ يفكر في توسعتها العالمية بعد أن أغراه النجاح الذي ساقته إليه الظروف المدنية.

كلّا يا هؤلاء الأغبياء! إن هذه الرسالة خُتمت بما بدأت وبدأت كما خُتمت في صيغة وصياغة واحدة وفي قوة التعبير والتدبير ومسالك الدعوة والدعاية.

فما هؤلاء المجاهيل من المبشرين الإنجيلين المدّعين - لأكثر تقدير - أن الرسالة القرآنية خاصة بالعرب لإشارات آيات يزعمونها، ما هؤلاء بناس، حيث الدعوة القرآنية تحلق على كلِّ الناس، فإن كانوا هم من الناس فلتشملهم هذه الدعوة، وإن كانوا من النسناس فأنّى لهم أن يتحدثوا عن شرعة الناس؟!.

فـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾[1] و﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾[2]

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٨.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٧.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[١] وما أشبه، هي القواعد الأصيلة لأممية هذه الدعوة، مما تفسر الآيات التي تخيّل اختصاص الدعوة بالعرب، واجتثاثها عن غير العرب، تفسر أنهم هم المبدأ الأول لهذه الدعوة لكون الداعية منهم وفيهم، وكما في سائر أولي العزم من الرسل سلام الله عليهم أجمعين.

أجل، وهذه الجمعية الرسولية والرسالية العالمية هي حقيقة بهذا الرسول النبي الأمي المعروف الشهير حيث «أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع، إزاحة للشبهات، واحتجاجاً بالبينات، وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمثلات، والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين، وتزعزعت سواري اليقين، واختلف النجر، وتشتت الأمر، وضاق المخرج، وعمي المصدر، فالهدى خامل، والعمى شامل، عُصي الرحمان، ونُصِر الشيطان، وخُذِل الإيمان، فانهارت دعائمه، وتنكَّرت معالمه، ودرست سبله، وعفت شُرُكُه، أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله، بهم سارت أعلامه، وقام لواءه، في فتن داستهم بأخفافها، ووطِئتهم بأظلافها، وقامت على سنابكها، فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون، في خير دار وشر جيران، نومهم سهود، وكحلهم دموع، بأرض عالمها ملجم، وجاهلها مكرَّم»[٢].

وفي وصف الأنبياء وخاتمهم ﷺ نراه أكرمهم وأعزهم حيث «استودعهم في أفضل مستودع، وأقرّهم في خيرٍ مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام، كلما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف - حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد ﷺ فأخرجه من أفضل

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٢) (الخطبة ٢).

المعادن مَنبِتاً، وأعز الأرومات مَغرِساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياؤه، وانتخب منها أُمناءه - عترتُه خير العتر، وأسرته خير الأُسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كَرَم، لها فروع طِوال، وثمرةٌ لا تُنال - فهو إمام من اتقى، وبصيرة من اهتدى، سراج لمع ضوءُه، وشهاب سطع نورُه، وزَنْدٌ برق لَمْعُه - سيرته القصد، وسنته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل - أرسله على فترة من الرسل، وهفوة عن العمل، وغَباوة من الأمم إلى دار السلام، وأنتم في دار مستَعتَب على مَهَل وفراغ، والصحف منشورة، والأقلام جارية، والأبدان صحيحة، والألسن مطلقة، والتوبة مسموعة، والأعمال مقبولة»[(١)].

«مستَقره خير مستَقر، ومَنبِته أشرف مَنبِت، في معادن الكرامة، ومعاهد السلامة، قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار، وثُنيت إليه أزمة الأبصار، دفن الله به الضغائن، وأطفأ به النوائر، ألف به إخواناً، وفرق أقراناً، أعز به الذلة، وأذل به العزة، كلامُه بيان، وصُمته لسان»[(٢)].

«اختاره من شجرة الأنبياء ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء، ومصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة - طبيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع من ذلك حيث الحاجة إليه، من قلوب عُمي، وآذان صم، وألسنة بُكْم، متتبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة، لم يستضيئوا بأضواء الحكمة، ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة، فهم في ذلك كالأنعام السائمة، والصخور القاسية، قد انجابت السرائر لأهل البصائر، ووضحت محجة الحق لخابطها، وأسفرت الساعة عن وجهها، وظهرت العلامة لمتوسمها -

ما لي أراكم أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً لا أشباح، ونُسَّاكاً بلا

(١) (الخطبة ٩٣).
(٢) (الخطبة ٩٥).

صلاح، وتُجاراً بلا أرباح، وأيقاظاً نُوَّماً، وشهوداً غُيَّباً، وناظرة عمياء، وسامقة صمَّاء، وناطقة بكماء»[١].

ذلك! وترى كيف لا يضمن هنا الاهتداء بذلك الإيمان والاتباع وقد كتب الله رحمته لهؤلاء المؤمنين المتبعين؟ لأن مجرد بادئ الإيمان والاتباع أيّاً كان لا يضمن دائب الاهتداء، وإنما هو الاستمرار فيها بشروطهما بعون الله وفضله، فرب مؤمن به متبع له سوف يكفر، ورب كافر به ناكر له سوف يؤمن، فلنسأل الله حسن العاقبة والخاتمة كما نسأله حسن البداية.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾:

هنا ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ . . .﴾ وفي أخرى ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾[٢] وفي ثالثة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

فالأولى خاصة بقوم موسى ومثلها: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٤] وهنا ما تختص بالذكر من هؤلاء الأئمة الهادية كإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾[٥].

ثم الثالثة تعمهم إلى قوم عيسى، وآية الأنبياء تعمها إلى قوم

(١) (الخطبة ١٠٧).
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨١.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٦.
(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٤.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

محمد ﷺ مما يدل على أن هذه الأمة الهادية بالحق العادلة به هي الأئمة من كلِّ أمة، معصومين كأصول، وعلماء ربانيين كفروع لهم.

فـ ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ هي الهداية بمصاحبة الحق وبسببه، وهو حق الوحي كتاباً وسنة، ثم ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ هو العدل بالحق والعدول عن الباطل بالحق، فالحق هو الذريعة الوحيدة في العدل والهدى ليس إلّا، دون مصلحيات هاوية وقياسات خاوية غاوية وما أشبهها من دون الحق الحقيق بالاتباع.

ذلك، ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1] - «ولم يخل أرضه من عالم بما يحتاج الخليقة إليه، ومتعلم على سبيل نجاة، أولئك هم الأقلون عدداً، وقد بين الله ذلك من أمم الأنبياء وجعلهم مثلاً لمن تأخر مثل قوله فيمن آمن من قوم موسى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

فرأس الزاوية في مثلث الهداية هو رسول كلِّ أمة، ثم الأئمة من قومه، ومن ثم ربانيو الأمة وقد يروى عن النبي ﷺ قوله: «معاشر الناس أنا الصراط المستقيم الذي أمرتم باتباعه ثم علي من بعدي ثم ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون»[2].

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥.

(٢) نور الثقلين ٢: ٨٦ في كتاب الاحتجاج بإسناده إلى الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام عن النبي ﷺ في خطبة الغدير: . . وفيه في الكافي عن مسعدة بن صدقة سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول يسأل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو واجب هو على الأمة جميعاً؟ فقال: لا فقيل له: قال: إنما هو على القوى المطاع العالم بالمعروف من المنكر لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلاً إلى أيّ من أيّ والدليل على ذلك كتاب الله تعالى قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] فهذا خاص غير عام كما قال الله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] ولم يقل على أمة موسى ولا على كلّ قومه وهم يومئذ أمم مختلفة والأمة واحدة فصاعداً كما=

ذلك، ولأن ﴿يَهْدُونَ﴾ مضارعة تشمل الحال إلى الاستقبال، فالأصل فيهم بالنسبة لزمن نزول القرآن هؤلاء الذين آمنوا به ودعوا له وهدوا إليه، وقد سبقهم نبيون وربانيون ومؤمنون إسرائيليون كانوا ينتظرون تشريف هذه الرسالة السامية.

وعلى أية حال فـ ﴿أُمَّةٌ﴾ هنا تضم من ﴿قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾ كلّ من ﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ وقضية احتمال الواو أنها حالية، أن ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ﴾ بيان حال الماضية، كما أن قضية احتمال العطف بيان الحال الحالية، والجمع أجمل وأجمع، لأن أمة الحق بين الأمم الرسالية لا يختصون بزمان دون زمان، والآية طليقة في هؤلاء الأكارم.

وفي أحاديثنا أن هذه الأمة من قوم موسى هم ممن يرجعون في دولة المهدي عجل الله تعالى فرجه وسهل مخرجه.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾:

آية وحيدة في بيان عديد الأسباط، بعد آيات أربع تذكرهم دون عديدهم، وهم هنا ﴿أُمَمًا﴾ بعد كونهم أمة واحدة في شرعتهم.

وترى كيف هنا ﴿أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ وتمييز ما فوق العشرة مفرد؟، إنه قد لا يكون تمييزاً، بل هو بدل يعني قطعناهم أسباطاً أمماً هم اثنتي عشرة، أم أن ﴿أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ حالان لـ«هم» فإن واقع عديد الأسباط لا يقبل التقطيع لأنه

= قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠] يقول: مطيعاً لله تعالى.

تحصيل للحاصل، وإنما ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ تفريقاً بينهم حال كونهم أسباطاً أمماً، أم لأن تمييز ما فوق العشرة لا يختص بالإفراد، فقد يجمع كما هنا، وأخرى يفرد كـ ﴿عَيْنًا﴾ تمييزاً لـ ﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ﴾ والقاعدة الأدبية المخالفة لأدب القرآن هي خارجة عن الأدب البارع.

ذلك، فتقدير تمييز مفرد حفاظاً على الأدب المزعوم تغدير على أدب القرآن، ولا يصلح تمييزاً لـ«اثني عشر» إلّا ﴿أَسْبَاطًا﴾.

وترى هذا التقطيع لهم رحمة؟ وهو زحمة قضية الاختلاف! إنه زحمة كأصل حيث الوحدة هي الرحمة ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾﴾[1] ثم هو رحمة في غير أصل حين لا تعايش سلمياً بين مختلف الأسباط، وهكذا كانوا مختلفين لا يتعايشون فقطعهم الله حتى يتخلصوا عن أعباء الخلافات، قطعناهم لحدّ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ . . .﴾ وكما ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾[2].

ذلك، وسائر مواضيع الآية مفسّرة مفصّلة على ضوء آيات البقرة اللّهم إلّا ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وكما في البقرة ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

وهذه حقيقة هي حقيقة بالاتباع أن الله لا يُظلم كما لا يَظلم حيث الظلم هو الانتقاص ولا ينتقص من ربنا في واقع كيانه بشيء وكلّ شيء غيره قابل للانتقاص.

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

ولقد ظلمت هذه الآية فيما ظلمت آي أخرى من القرآن بما اختلقت من رواية تروى لقلة الفهم وسوء التفهم أنها نزلت ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ . . .﴾[١].

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾:

لقد مضى قول فصل حول مغزى الآية على ضوء نظيرتيها وهما (٢: ٥٨ و٤: ١٥٤) مهما كان بين هذه الثلاث تقديم وتأخير في التعبير، ومثلث العرض في القرآن لهذه الذكرى هو قضية مثلث الملابسات البيانية في الذكر الحكيم.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾:

ولها ثانية باختلاف يسير في التعبير هي: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[٢].

---

(١) نور الثقلين (٢: ٨٧) في أصول الكافي عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام في الآية قال: إن الله أعز وأمنع من أن يظلم وأن ينسب نفسه إلى الظلم ولكن الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته ثم أنزل بذلك قرآناً على نبيه فقال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨] قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم، وفيه مثله عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه ما يعارضهما عن الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل: وأما قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧] فهو تبارك اسمه أجلّ وأعزّ من أن يظلم ولكنه قرن أمناءه على خلقه بنفسه وهو عرّف الخليقة جلالة قدرهم عنده وإن ظلمهم ظلمه بقوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ [البقرة: ٥٧] ببغضهم أوليائنا ومعونة أعدائهم عليهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧] إذ حرموها الجنة وأوجبوا عليها دخول النار.
أقول: وفي خلط أوليائه بنفسه خلط لا يناسب شرعة التوحيد!.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٩.